Stylistic Formation in “Sayd Alkhatir” by Ibn Al-Jawzi (d. 597 AH): A Prosodic Study

Aisha Muhammad Alhammadi
aalhammadi11@hct.ac.ae
Prof. Bin Issa Bataher
benissa@sharjah.ac.ae
University of Sharjah - College of Arts - Humanities and Social Sciences
United Arab Emirates – Sharjah

DOI: https://doi.org/10.31973/aj.v1i148.4292

Abstract:

rhyme is one of the terms in which the aspect of phonetic features is taken into account in the structure of the prose text. It is one of the innovative improvements that are common in all the arts of prose: such as letters, wills and shrines, as rhyme is a rhythmic phenomenon that has its aesthetic value and its impact on the text. The early Arabs are known for their eloquence and care for this color of Badi'a for them, especially the preachers of the pre-Islamic era because of its musical timbre, ringing of minds, and arousing attention. The arts of prose developed in the Abbasid era, and writers expanded in the use of rhyme and alliteration, so this wonderful color became one of the fixed traditions in writing letters and prose discourse, specifically the Diwaniyah and Brotherhood letters, so these letters were characterized by verbal elegance and vocal coloring, so they were a prominent stylistic feature in their works, and with the spread of preaching councils and religious lessons in Baghdad, rhyme became one of the most prominent means of expression and the arts of saying they have, but one of the most important means of influencing and attracting people. Accordingly, this study is an attempt to reveal the stylistic formation of the phrases of the most famous preachers and scholars of Baghdad in the sixth century AH, and the choice fell on the book " Sayd Alkhatir " by Ibn Al-Jawzi, Ibn Al-Jawzi was famous for his ingenuity in preaching rhyme, and says golden: "As for the verbal rhyme, it has a strong queen, and if improvised, he excelled". The study relied on the descriptive analytical approach, with the help of the statistical method, which provided us with some data that may help us determine the density and images of rhyme, and its role in the stylistic formation of the text.

Keywords: Rhythm - Phonetic structure - Stylistic formation - Rhyme - Sermons and Sermons.

التشكيل الأسلوبي في كتاب "صيد الخاطر" لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) (السجع أنموذجا)

الباحثة عائشة محمد الحمادي
جامعة الشارقة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
الإمارات العربية المتحدة – الشارقة

أ.د. بن عيسى باطاهر
جامعة الشارقة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
الإمارات العربية المتحدة – الشارقة

(مُلَخَّصُ البَحث)

السجع من جملة المصطلحات التي روعي فيها جانب الملامح الصوتية في بنية النّص النثري، فهو من المحسنات البديعية التي شاعت في كافة فنون النثر: كالرسائل والوصايا والمقامات، فالسجع ظاهرة إيقاعية لها قيمتها الجمالية وأثرها في النّص .لقد عرف عن العرب الأوائل ببلاغتهم، وعنايتهم بهذا اللون من ألوان البديع عندهم؛ لاسيما خطباء الجاهلية لما له من جرس موسيقي، وقرع للأذهان، وإثارة للانتباه؛ فتطرب له الآذان، ويلذُّ له الأسماع، ويحفظه المتلقي؛ فتحقق بذلك غرض الخطيب في التأثير والإقناع.

تطورت فنون النثر في العصر العباسي، وتوسع الكتاب في استعمال السجع والجناس؛ فأضحت هذا اللون البديعي من التقاليد الثابتة في كتابة الرسائل و الخطاب النثري، وتحديدًا الرسائل الديوانية والإخوانية، فتميزت هذه الرسائل بالتأنق اللفظي والتلوين الصوتي فكانت سمة أسلوبية بارزة في أعمالهم، ومع انتشار مجالس الوعظ والدروس الدينية في بغداد، أصبح السجع من أبرز وسائل التعبير وفنون القول لديهم بل من أهم وسائل التأثير على الناس واستمالتهم.

وعليه، جاءت هذه الدراسة في محاولة الكشف عن التشكيل الأسلوبي للعبارات السجعية لدى أشهر وعاظ وعلماء بغداد في القرن السادس الهجري، ووقع الاختيار على كتاب "صيد الخاطر" لابن الجوزي، فقد اشتهر ابن الجوزي ببراعته في السجع الوعظي، ويقول الذهبي: "وأما السجع اللفظي فله فيه ملكة قوية، وإذا ارتجل أبدع" (الذهبي، ١٩٩٨م، صفحة ١٣٤٧/٤). وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التّحليلي، مع الاستعانة بالمنهج الإحصائي الذي مدّنا ببعض المعطيات التي قد تساعدنا على تحديد كثافة السجع وصوره، ودوره في التشكيل الأسلوبي للنّص.

الكلمات المفتاحية: الإيقاع – البنية الصوتية – التشكيل الأسلوبي – السجع – الخطب والمواعظ.

المقدمة:

إنّ التنظيم الصوتي في النثر يختلف عن الشعر؛ لإختلاف طبيعة الجنس الأدبي، إلا أنّ ايحاء الصوت في النثر عامة وأدب الترسل خاصة له أهميته وقيمته الجمالية في النّص، فهي سلسلة كلامية متكونة من جمل وعبارات تعدد دلالته الصوتية، فالصوت مكون أساسي للغة وله إيقاعه المميز شعرًا ونثرًا، فهو المحور الأول للدخول إلى النّص، وهو الوسيط الدلالي المهم في عملية التواصل والإبلاغ الحاملة للمعنى. لذا نجد في كتاب " صيد الخاطر" تشكيل صوتي خاص استطاع ابن الجوزي من خلال إيصال رسائله في أنساق صوتية ذات أبعاد روحية مؤثرة، فعملية تحويل الدال إلى دال مدرك عملية قصدية يشحنها الأديب بالتوتر الذاتي بحسب مقتضيات عمله، مما تؤدي إلى شدة التأثير على المتلقي، فالصوت أحد الوسائل المولدة للإيقاع وهي تقنية أسلوبية لها دورها وأهميتها في تحقيق جماليات النّص، ولها عناصرها المنتظمة من تكرار وتوازن وتجانس موزعة في ثنايا النّص، وقد تكون فواصل مميزة تضفي على النّص تماسكه يضاف إلى ذلك تنويع الإيقاع النثري. ولاسيما عند ابن الجوزي فقد نثر بين فصول الكتاب فقرات كانت أدعى إلى تنشيط التقبل وأبعث على المداومة في الدهشة عند المتلقين، إذ يلحظ تغيير أنماط الجمل المتوازية في فصول الكتاب.

مشكلة الدراسة:

ظل السجع حلية بلاغية وأسلوبية بيانية، افتتن بها الكتاب في الأدب العربي القديم كابن المقفع، وعبدالحميد الكاتب، وابن العميد، والهمذاني، والحريري، فهي طاقة إبداعية لها من قوة التأثير على السامع والمتلقين، ولها قيمتها الجمالية والأسلوبية في النّص والعمل الأدبي، وقد اشتهر ابن الجوزي ببراعته في أسلوب السجع، يقول الذهبي: "وأما السجع اللفظي فله فيه ملكة قوية وإذا ارتجل أبدع" (الذهبي، ١٩٩٨م، صفحة ١٣٤٧/٤)، ويقول الدكتور مصطفى عبد الواحد في مقدمة كتاب "التبصرة": " وقد أتى بسجعه طبيعيا غير مستكره، مما يدل على تفننه وامتلاكه لزمام أسلوبه" (مصطفى، ٢٠١٢م، صفحة ٢٣).

هذا، ويرى الدكتور مصطفى عبد الواحد أنّ ابن الجوزي يميل للأسلوب المرسل في كتابه "صيد الخاطر" ، والتي نثر فيها تأملاته وخواطره مقارنة بأسلوبه المسجوع في كتابه "التبصرة"، بينما تجد الباحثة أن ابن الجوزي مزج بين الأسلوبين: المرسل والمسجوع، ورسم تشكيلا أسلوبيا مميزًا ذا إيقاع موسيقي ونغمة متنوعة ومنسجمة في النص، ولم تكن مجرد حلية وإنما جاءت لإثراء المعنى وتوكيده، وتنبيه السامع للعناية بالمسألة والتفكر بها.

أهمية الدراسة:

احتفظ السجع لمدة طويلة بالارتباطات الدينية التي كانت له بالجاهلية، "والتي أصبحت مقدسة للمسلمين جميعًا في القرآن الكريم، في حوالي منتصف القرن التاسع للميلاد – الثالث للهجرة– بالظهور في خطب الخلفاء...، وقد تطور أكثر على يد وعاظ محترفين" (نيكولاس، صفحة ١١٣)، وكان ابن الجوزي مدرًكا لأهمية هذا اللون من ألوان البديع في الوعظ ودورها في إثارة السامعين والتأثير فيهم، ويقول: " وأحوج الناس إلى البلاغة الواعظ؛ ليجمع مطالبهم؛ لكنه ينبغي أن ينظر في اللازم الواجب، وأن يعطيهم من المباح في اللفظ قدر الملح في الطعام، ثم يجتذبهم إلى العزائم، ويعرفهم الطريق الحق" (ابن الجوزي، ٢٠١٢م، صفحة ٢٣) .اشتهر ابن الجوزي بالسجع الوعظي، كما برع ابن الجوزي في أساليب الكتابة وفنون الأدب فهو عالم موسوعي له في الحديث والتفسير والشريعة والفقه واللغة والطب والتاريخ، وفي النظم والشعر والمقامات الوعظية.

يعد كتابه" صيد الخاطر" من أنفس المصنفات التي خطها الإمام ابن الجوزي، فقد نثر فيه أكثر من ثلاثمائة فصلا من السير والمرّويات والخواطر، فضلاً عن ما مرّ به من منح ومحن وصفها وصفاً بليغاً في ثنايا كتابه، ونظرًا لقلة الدراسات الأسلوبية بشأنه، ولأسلوب ابن الجوزي، وممارسته الإبداعية في أعماله ومصنافته، جاءت هذه الدراسة لتؤكد على السمة والخاصية الأسلوبية المميزة لديه في استعمال الأسلوب المسجوع، والذي "ينتج عن تكراره في العمل الأدبي إيقاعا داخليا يكسب النّص جمالًا ورقة من خلال موسيقاه، فهو يعتمد على خاصية الإيقاع الصوتي المرتبط بنهاية الجمل" (وقاد، ٢٠٠٣/٢٠٠٤، صفحة ٩٧).

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن صور وأنواع السجع في "صيد الخاطر"، والتي أسهمت في تشكيل البنية الصوتية للنّص، فجاءت في صور متنوعة تطرب لها الآذان، وتتوق لها الأنفس، فتثير أذهان القارىء والسامع للتفكر والتدبر في مضامين هذه الخواطر، والعناية بمسائلها.

أسئلة الدراسة:

تسعى هذه الدراسة للكشف عن التشكيل الأسلوبي في كتاب "صيد لخاطر" وذلك من خلال تحليل البنية الصوتية للعبارات السجعية، فجاءت هذه الدراسة في محاولة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

١. ما صور العبارات السجعية الواردة في مقدمة فصول "صيد الخاطر" ؟ أو الخاتمة ؟
٢. ما القيمة الجمالية والتعبيرية لهذه العبارات السجعية ؟ وأثرها على المتلقي.

الدراسات السابقة:

لقد قرّظ كتاب"صيد الخاطر" جمع من فحول أهل العلم وأئمة الإسلام: كسبط ابن الجوزي (ت:٦٥٤ هـ) في "مرآة الزمان"، وابن الفرات (ت: ٨٠٧هـ) في "تاريخه"، والذهبي (ت: ٧٤٨هـ) في "تذكرة الحفاظ وتاريخ الإسلام"، وإسماعيل البغدادي (ت: ١٣٣٩هـ) في "هدية العارفين"، والزركلي (ت: ١٣٩٦هـ) في "الأعلام"، ومن المستشرقين بروكلمان (ت: ١٣٧٦هـ) في "تاريخ الأدب العربي"، كما شكلت مصنفات ابن الجوزي مادة غنية للنقاد والدارسين بسبب تعدد مجالاتها، وقام عدد من الباحثين بدراسة "صيد الخاطر" دراسة فنية لأنواع النصوص، أو أهداف الكتاب أو دراسة مروياتها أومضامينها الثقافية والدعوية أو التربوية، ومنها:

-مظاهر ثقافية في كتاب"صيد الخاطر" لابن الجوزي، للباحث باسم ناظم سليمان، جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، مجلد ٣، العدد ١. السنة الثالثة ٢٠٠٨ م، والذي أشار فيه بشكل موجز لا يتجاوز السطر إلى الفنون البديعية في الكتاب، ومنها: السجع، مستشهدًا بخطبة الكتاب كأنموذجًا لهذا الفن. وهناك بعض الدراسات التي تناولت فن السجع في مصنفات أخرى لابن الجوزي نحو: كتابه (التبصرة) مقدمة المحقق مصطفى عبدالواحد، ومقاماته الوعظية للباحثة نهلة أحمد أبو عصبة (٢٠٠٦م)، ودراسة أسلوبية لشعره للباحث سامي شهاب أحمد الجبوري (٢٠١١ م)، ولم أجد دراسات أسلوبية أو بلاغية خاصة بكتاب" صيد الخاطر".

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لرصد السجع في خواطر وفصول كتاب"صيد الخاطر" وما فيها من قيم جمالية وتأثيرية في النّص، مع الاستعانة بالمنهج الإحصائي لرصد صورها وأنواعها في الكتاب، والتي عكست الممارسة الإبداعية لهذا لواعظ بغداد وإمامها الأول ابن الجوزي.

هيكل الدراسة:

قسم هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد شمل نبذة موجزة عن أبي الفرج ابن الجوزي، وكتابه "صيد الخاطر"، مع بيان مفهوم السجع وصوره وأنواعه في الجانب النظري، ونماذج من العبارات السجعية وأنواعها في الكتاب في الجانب التطبيقي، ثم ختمت البحث بأهم النتائج.

التمهيد: ابن الجوزي وكتابه صيد الخاطر

هو أبو الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي البغدادي الحنبلي، عالم العراق والحافظ المفسر، الأديب والشاعر المبدع، الفقيه الواعظ، شيخ وقته وإمام عصره.

امتاز ابن الجوزي بعلمه الموسوعي وأسلوبه البياني، وحظي بشهرة واسعة، ومكانة كبيرة في الخطابة والوعظ والتصنيف، كما برز في كثير من العلوم والفنون، وبلغت مؤلفاته أوج الشهرة والذيوع في عصره وفي العصور التالية له، يقول ابن خلكان: "كان علاّمة عصره، وإمام وقته في الحديث، وصناعة الوعظ".

وكان لابن الجوزي موقف ورأي في البدع والضلالات الداخلة على الدين في زمانه، فصنف في العقيدة والعلوم الكلامية ونثر آراءه ومواقفه من الفرق الكلامية والمذاهب كالمتصوفة والزهاد وعلماء الكلام والمتشبهة والأشاعرة وغيرهم في كتبه، ونظرًا لنقده اللاذع لهذه الفرق والمذاهب والطوائف مرّ ابن الجوزي بمحنة عظيمة في خلافة الناصر؛ إذ ألقي عليه القبض وختم على داره، وشتت أولاده ثم أرسل إلى سجن واسط سنة ٥٩٠هـ، يقول ابن القادسي في ذلك: "بقي الشيخ محبوسًا بواسط في دار بدرب الديوان، وعلى بابها بواب، وكان بعض الناس يدخلون عليه، ويستمعون منه، ويملي عليهم، وكان يرسل أشعارًا كثيرة إلى بغداد".

بقي ابن الجوزي في النفي إلى سنة ٥٩٥هـ وقد قارب الثمانين عامًا، وساعده بعد ذلك ابنه محي الدين يوسف بعد شفاعته إلى أمّ الخليفة الناصر الذي أمر بإعادته إلى بغداد وأفرج ؛ فاستقبله أهل بغداد فرحين مستبشرين بقدومه، وعاد لمجالس وعظه وللتصنيف ونشر العلم، ولم يعش ابن الجوزي بعدها أكثر من عامين حيث لقي ربه سنة ٥٩٧هـ.

قسم ابن الجوزي كتابه"صيد الخاطر" إلى عدة فصول، ويبدو أنّه كان يكتبها على فترات متباعدة؛لأنه كان يكرّر بعض موضوعاتها بين أكثر من فصل، ولم يعنّون ابن الجوزي لهذه الفصول، وإنما اكتفى بالعنوان الرئيسي للكتاب "صيد الخاطر"، وكان ينتقل من مسألة إلى أخرى بعنوان "فصل"، ومن المرجح أنّ ابن الجوزي قد صنّف كتابه "صيد الخاطر" في الثلث الأخير من عمره، وقد يكون قد استكمل كتابة فصوله بعد المحنة أي بعد عام ٥٩٠ هـ، و كما أظن بأنه صنّفها بعد عودته إلى بغداد مع كتاب " لفتة الكبد إلى نصيحة الولد"، بدليل أنّه قد خصص فصلا في كتاب"صيد الخاطر" يسرد فيه بإيجاز عن المحنة التي مرّ بها مبينًا السبب بقوله: "وقعَ بيني وبين أربابِ الولاياتِ نوعُ معاداةٍ؛ لأجل المذهب، فإني كنتُ في مجلسِ التّذكير، أنصر: أنّ القرآن كلامُ الله، وأنه قديم، وأقدّمُ أبا بكرٍ. واتّفقَ في أرباب الولاياتِ من يميلُ إلى مذهب الأشعريّ، وفيهم من يميلُ إلى مذهب الرّوافضِ،و تمالؤوا عليّ في الباطن ..."

هذا، وقد عرف عن ابن الجوزي بدقة اختياره لعناوين كتبه، فقد بيّن سبب اختيار العنوان "صيد الخاطر" في خطبة الكتاب، وأنّ المقصود بالخواطر الأفكار ومسائل التي قد تعرض له عند تصفّحه لأشياء أخرى، سواء كان في مجلس وعظ أو درس أو تأمل لموقف

أو حال أو غيره، فهي تجول في سماء فكره فيقوم بتقييدها بالكتابة والصيد من خلال التصنيف والتدوين؛ حتى لا يتأسف على ذهابها، فيقول: "لما كانت الخواطر تجول في تصفح أشياء تعرض لها، ثمّ تُعرض عنها فتذهب، وكان من أولى الأمور حفظ ما يخطر لكيلا يُنسى، وقد قال – عليه الصلاة والسلام– : قيّدوا العلم بالكتابة، وكم خطر لي شيء فأتشاغل عن إثباته فيذهب، فأتأسف ،فكانت خواطره هي مسائل علمية، وليست مجرد خاطرة عابرة أو نصيحة عامة، فهي رسائل تعليمية ووعظية قيمة يهدف من خلالها إلى صلاح المجتمع، وزرع الفضائل والسعي نحو الكمال.

أولا: الجانب النظري

تعريف السجع، ومفهومه:

يعرف السجع (لغة) بأنه الكلام المقفى، أو موالاة الكلام المنثور على رويّ واحد، وجمعه أسجاع واساجيع، وهو مأخوذ من سجع الحمام، وسجع الحمام هو: هديله وترجيعه لصوته (ابن منظور، صفحة ٢١٠/٤) ، فالأسجاع مبنية على سكون أواخرها، ويرتبط السجع أيضًا بمواطن الحزن والحنين والألم.

أما في (الاصطلاح) فهو " تواطؤ الفاصلتين أو الفواصل على حرف واحد أو على حرفين متقاربين أو حروف متقاربة، ولا يحسن السجع إلا إذا كانت المفردات رشيقة، والألفاظ خدم المعاني" (عبدالفتاح، ١٩٩٨م، صفحة ٢٩٦)، وأحسن السجع ما تساوت فقره، نحو قوله تعالى: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ **(28)** وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ **(29)** وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨ –٣٠]، ثمّ ما طالت فقرته الثانية، نحو قوله تعالى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ **(1)** مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ١ –٢]، ثمّ ما طالت فقرته الثالثة، نحو قوله تعالى: ﴿ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ **(5)** إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ **(6)** وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [البروج ٥ –٧].

والمتتبع لتاريخ البلاغة يجد تباين مواقف البلاغيين حول بعض المصطلحات المتداخلة كالسجع والفاصلة ، لقد رفض بعض العلماء كالرماني (٣٨٨هـ) والبقلاني (٤٠٣هـ) إطلاق مصطلح السجع على الفواصل القرآنية انطلاقا من رؤيتهم لإعجاز القرآن، فضلا عن ارتباطه بسجع الكهان في الجاهلية. وحجتهم في ذلك أنّ "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني، والفواصل بلاغة والأسجاع عيب؛ وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها، وهو قلب ما توجبه الحكمة في الدلالة" (الرماني، ١٩٨٧م، صفحة ٩٧)، بينما لم يجدوا بعض البلاغيين حرجًا من إطلاق السجع على مثل هذه الخاصية الأسلوبية في القرآن الكريم، ورصد مافيها من قيم جمالية وبلاغية.

عني العرب في جاهليتهم بمقاطع الكلام في النثر عامة، والخطابة خاصة كما اعتنوا بها في الشعر، ومن ذلك ما تناقله الرواة من خطبة قس بن ساعدة: " اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت... "، ومن ذلك أيضًا ما جاء في الأمثال والأقوال الماثورة كقولهم: " من قل ذل، ومن أمر فل"، مما يدل على تقدير العرب للكلمة سواء في انطلاقها من الذات المتكلمة أو في وصولها إلى مسامع المتلقي فهي أداة اتصال مفضلة تكون على أشكال مقاطع متناسبة ومتناسقة قد تصل درجة التماثل في حرف أو أكثر، فقد قيل لعبد الصمد بن المفضل بن عيسى الرقاشي: " لم تؤثر السجع على المنثور، وتلزم نفسك القوافي وإقامة الوزن ؟ قال: إنّ كلامي لو كنت لا أمل فيه إلا سماع الشاهد لقل خلافي عليك؛ ولكني أريد الغائب والحاضر والراهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع والآذان لسماعه أنشط وهو أحق بالتقييد وقلة التفلت، وماتكلمت العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره، ولا ضاع من الموزون عشره" (الجاحظ، ٢٠١٣م، صفحة ٢٨٧/١).

صور السجع، وأنواعه:

يكسب السجع الكلام حلاوة ويضفي على الأسلوب والمعنى فخامة، ولأنها ضرب من الموسيقى الداخلية في النّص والتنغيم فتنشط له الآذان لسماعه، وتحس بلذة، فتشيع وتذيع بين النّاس، ويكتب لها الخلود، وقد أشار ابن الجني إلى ذلك بقوله: " ألا ترى أن المثل إذا كان مسجوعا لذّ لسامعه؛ فحفظه فإذا هو حفظه، كان جديرا باستعماله، ولو لم يكن مسجوعا لم تأنس النفس به، ولا أنقص لمستمعه، وإذا كان كذلك لم تحفظه، وإذا لم تحفظه لم تطالب أنفسها باستعمال ما وضع له وجيء به من أجله" (ابن الجني، الصفحات ٢١٦ –٢١٥).

ويقول الشدياق في ذلك: " وللعربية مزايا أخرى فاقت بها غيرها فضلا قدرا وشأنا وفخرا، منها: السجع، وما أدراك ما السجع كلم متناسقة يعلقها الطبع، ويعشقها السمع؛ فتطبع في الذكر أي طبع ولا سيما إذا زينت بشيء من محسنات البديع كالتجنيس والترصيع..." (ياغي، ١٩٦٨م، صفحة ١٠٢/١).

قسم علماء البلاغة السجع في النثر إلى ثلاثة أنواع هي:

١. المطرف: ما اختلف فيه الفاصلتان وزنًا، كقوله تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [النوح: ١٣–١٤]
٢. المرصع: ما كان فيه ألفاظ إحدى القرينتين –كلها أو جلها– مثل مايقابلها من الفقرة الأخرى في الوزن والتقفية، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ [الإنفطار: ١٣–١٤]
٣. المتوازي: وهو ما لم يكن جميع ما في القرينة ولا أكثر منها مثل ما يقابله من الأخرى:

- فإما أن يكون الاختلاف في الوزن والقافية معًا، كقوله تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣-١٤].
- أو الاختلاف في التقفية دون الوزن، كقول أحدهم: "حصل الناطق والصامت، وهلك الحاسد والشامت".
- أو أن يكون الاختلاف بالعكس، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُرسَلَٰتِ عُرفا * فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً﴾ [المرسلات: ١-٢].

وأحسن السجع هو ما تساوت قرائنه في عدد الكلمات، كقوله تعالى: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ [الواقعة: ٢٨- ٣٠].

ثانيًا: الجانب التطبيقي

لقد استعمل ابن الجوزي الأسلوب المسجوع في بنية الاستهلال والمضامين والخاتمة إلى جانب الأسلوب المرسل، ونستطيع القول بأنه كان يوظف السجع في مقاطع وفقرات متناسقة ومتناغمة، ولم تكن مجرد زينة لفظية أو موسيقى إيقاعية بل كانت إحدى أساليب التأثير والإقناع على المتلقين، فهي من أهم السمات الأسلوبية في صناعة الترسل، فالسجع حلية لفظية تقصد؛ لكنها لا تلتزم (الغزي، ٢٠١٣م، صفحة ٦١).

إنّ التشكيل الإيقاعي للعبارات السجعية في "صيد الخاطر" لابن الجوزي كانت موزعة على ثلاثة أنواع: المطرف والمرصع والمتوازي، فقد اشتهر ابن الجوزي ببراعته في السجع الوعظي، وبالرغم من أنه لم يلتزم بها في كتابه"صيد الخاطر" وإنما بحسب ما يستدعيه المقام، فنجده إذا ما استهل بدعاء أو بموعظة أو بفضيلة أو بتجربة شخصية فإنه يوظف الأسلوب المسجوع كما في خطبة الكتاب، فيقول:

"الحمد حمدًا يبلغ رضاه، وصلى الله على أشرف من اجتباه، وعلى من صاحبه ووالاه، وسلم تسليمًا لايدرك منتهاه" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٧) إن اتفاق السجعات في الروي دون الوزن في: (رضاه –اجتباه – ووالاه – منتهاه) كان من عادة الفقهاء والوعاظ والمربين أن يستهلوا كلامهم بأدعية استفتاحية مسجوعة، وبأسلوب أدبي جميل، فيقول في خاتمة الكتاب:

" بحمد الله- تعالى- قد أنجز ما توخاه الفكر الفاتر، من تقييد ما جمعه القلم من صيد الخاطر، مقتصرًا فيه على ما به التخلي من الأمراض النفسية، والتحلي بالآداب الشرعية، والأخلاق المرضية. جعله الله –تعالى- خير هاد، على منبر الوعظ والإرشاد، وأنفع كتاب تجلى في مرايا الظهور لهداية العباد ".(ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٧) فالانسياب الموسيقي بين فقرات الخاتمة على الرغم من اختلاف الوزن في العبارات السجعية، والمقاطع مع تنوع الفقرات ومنها: (الفاتر – الخاطر)، (الأمراض النفسية- الآداب الشرعية – الأخلاق

المرضية)، (خير هاد – الإرشاد – العباد) فالدلالة التي تشكلت بعد تكرار هذه الفواصل المتنوعة وما فيها من اختلاف الروي والوزن، إنما هو ترسيخ لأهداف الكتاب التي يريد إيصالها إلى السامع والمتلقي في وصف الأمراض النفسية، وما اقترحه من علاج في مقاطع معتدلة بحيث يكون لها وقعٌ في نفس المتلقي مما يبعث على الارتياح والقبول.

أما على مستوى المضامين، فنجد أن ابن الجوزي قد يمزج أحيانا بين أنواع السجع الثلاثة في مضمون الفصل الواحد، ومن ذلك:

–عندما شارك القراء تجربته أيام المحنة وما وجده من ظلمة وحسرة؛ محذرا بذلك العلماء من فساد الفتاوي والتأويلات، بسبب مخالطة الخلفاء والوزراء أيام توليه مشيخة المدارس وتقربه من الأمراء، شارحًا حالته وما وجده من ظلمة في خلواته ومناجاته، فيقول:

" وكثر ضجيجي من مرضي، وعجزت عن طب نفسي"

" فافقت من مرض غفلتي!، وقلت في مناجاة خلوتي "

" كيف أقدر شكرك؟، وبأي لسان أنطق بمدحك؟"

"إذ لم تؤاخذني على غفلتي، ونبهتني من رقدتي، وأصلحت حالي على كره من طبعي"

" فما اربحني فيما سلب مني، إذا كانت ثمرته اللجأ إليك"!

"وما أوفر جمعي، إذ ثمرته إقبالي على الخلوة بك !

"وما أغناني، إذ افقرتني إليك !

"وما آنسني، إذا أوحشتني من خلقك "!

"آه على زمان ضاع في غير خدمتك"!

"وأسفا لوقت مضى في غير طاعتك "!(ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٧٤)

يلاحظ اتفاق العبارات السجعية في الوزن والروي: (مرضي– نفسي)، (غفلتي– خلوتي) ويسمى هذا النوع بالسجع المتوازي وهو أن تتفق الكلمتان المسجوعتان في الوزن والروي (عبدالفتاح، ١٩٩٨م، صفحة ٣٠٠)، إذا تكرر صوت الأنين المتمثل في تكرار (ياء المتكلم) والمعبر عن الغفلة بصفتها مرضًا نفسيًا عجز عن علاجها، مخاطبا بذلك الله – سبحانه وتعالى– راجيًا عفوه ونوره، فيكرر صوت (الكاف) في ضمير المخاطب: (أقدر شكرك – أنطق بمدحك)، معترفًا بما مر به من ظلمة ومحنة فيرجع إلى صوت الأنين في ضمير المتكلم ثلاث مرات: (غفلتي– رقدتي– من طبعي)، فما بين صوت الأنين من مرضه وصوت الرجاء ينتقل إلى توظيف نوع آخر من أنواع السجع، وهو المطرف الذي تختلف فيه الكلمتان وزنًا وتتفق رويًا، نافيًا بـ(ما) أربع مرات، ومكررا (إذا) الشرطية، يقابل فيما بينها حالة السلب والشتات والفقر والوحشة التي يجدها والنتيجة المتحققة بقوله:

" فما أربحني فيما سلب مني، إذا كانت ثمرته اللجأ إليك"!
"وما أوفر جمعي، إذ ثمرته إقبالي على الخلوة بك !

(سلب مني – جمعي(،) اللجأ إليك – الخلوة بك)

"وما أغناني، إذ افقرتني إليك !
"وما آنسني، إذ أوحشتني من خلقك "!

(أغناني –آنسني(،) إليك – خلقك)

ليختم مناجاته في تأسف وتحسر موظفا صوت (الكاف) في السجع المتوازي، فيقول:

"آه على زمان ضاع في غير خدمتك"!
"وأسفا لوقت مضى في غير طاعتك "!

(خدمتك – طاعتك)

إن مزج ابن الجوزي ما بين صوت المد في (ياء المتكلم): (مرضي –نفسي– غفلتي – خلوتي –رقدتي– طبعي– جمعي) مع تكرار (غفلتي)، وبين صوت (الكاف) في ضمير المخاطب: (شكرك – بمدحك – اللجأ إليك –الخلوة بك – خلقك – خدمتك– طاعتك) ساهم في هندسة بنية النَّص الصوتية وتشكيله في مضمون هذا الفصل، كما عكست الحالة النفسية لابن الجوزي فهوما بين شحنة نفسية متقابلة ما بين شتات وجمع ، وما بين غنى وفقر، وما بين مرض وشفاء، فصوت المد في (ياء المتكلم) تمتاز بوضوحها في السمع إذا قيست بالأصوات الساكنة، ويحتاج النطق بها إلى زمن طويل يتناسب دلاليا مع صوت المخاطب فهي توحي بنداء ضمني يتمثل في مناجاة ابن الجوزي لربه في خلوته لفترة طويلة في إشارة إلى المحنة التي مرّ بها بعد نفيه عن بغداد، ومناجاته لربه لسنوات طالبًا عفوه ورحمته بدليل طول العبارات السجعية، وتعدد التراكيب والأساليب شارحًا فيها مشاعر الانين والحسرة.

فالأسلوب المسجوع في هذا الفصل مقسم على فقر متساوية، متشاكلة المقاطع متعددة الأوزان (ستيت، ١٩٩٨م، صفحة ١١٠)، ذات إيقاع متنوع ، فالنص يقوم على ثيمة أساسية شرح فيها ابن الجوزي حاله ومشاعره بسبب ترخصه وغفلته، فهذا ما دل عليه التوازن الداخلي في التراكيب النحوية المساهمة في إنتاج المكون الإيقاعي، ليأتي الانسجام والتماسك النصي الذي أفرزته البنية الإيقاعية في النّص ما بين صوت المد (ياء المتكلم) و(الكاف) المخاطبة من تشتت وضياع، أشبه ما يكون بالأدب الصوفي في مناجاتهم وخلواتهم وأشعارهم؛ مما يدعو إلى تفكر وتأمل عميقين من عواقب هذه التجربة، محذرًا بذلك في ختام الفصل ومعترفًا بخطئه، في عبارات سجعية أخرى، بقوله:

" يا من يقرأ تحذيري من التخليط؛ فإني وإن كنت خُنتُ نفسي بالفعل، نصيحٌ لإخواني بالقول: احذروا –إخواني– من الترخص فيما لا يؤمن فساده، فإنّ الشيطان يزين المُباح في أول مرتبة، ثم يجر إلى الجُناح، فتلمحوا المآل، وافهموا الحال، وربما أراكم الغاية الصالحة، وكان في الطريق إليها نوع مخالفة "(ابن الجوزي، صيد الخاطر، ٢٠١٨م، صفحة ٧٤)

وهنا يعود ابن الجوزي بعبارات سجعية ومقاطع متساوية في الوزن والروي (بالفعل – بالقول)، (المُباح – الجُناح)، (الصالحة – مخالفة)، فقد تكرر صوت (اللام) أربع مرات، وصوت (الحاء، والتاء) وهي من الأصوات المهموسة مرتان في وحدات إيقاعية متنوعة، كما نلاحظ نوع آخر للسجع، وهو المرصع المتساوي مقاطع في (فتلمحوا المآل– وافهموا الحال) فهو أن يكون ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثره مثل مايقابله وزنا ورويا، فقد حرص ابن الجوزي على أن يواكب هذه العبارات السجعية توازنا داخليا في التراكيب النحوية المساهمة في إنتاج المكون الإيقاعي، وترك الأثر الأسلوبي على السامع والقارىء، فهذا التكرار لتراكيب وأساليب محددة مع مارافقه من السجع المطرف والمرصع والمتوازي إنما هي جذب لذهن القارئ والسامع لتأمل قوله، وتلمح عواقب فعله بما يصلح به دينهم ودنياهم.

صور السجع في بنية الاستهلال:

يسهم إيقاع السجع في جعل الكلام قريب من القلب والعقل معًا، وكلما كان الكلام قريبًا منهما كان مدعاة للفهم والتأمل والعمل بمحتواه، والامتثال لما يأمر به، واجتناب ما ينهى عنه، وقد وظف ابن الجوزي السجع في التقديم الاستهلالي من فصول الكتاب، ويمكن حصر أبرز هذه العبارات والمقاطع كما هو موضح بالجدول:

العبارات والمقاطع السجعية في استهلال الفصول	السجع	نوعه
"من أحب تصفية الأحوال، فليجتهد في تصفية الأعمال " (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ١٤).	الأحوال – الأعمال	المرصع
"من عاين بعين بصيرته، تناهي الأمور في بدايتها، نال خيرها، ونجا من شرها" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٩).	بدايتها – خيرها – شرها	المطرف
"من تفكّر في عواقب الدنيا أخذ الحذر، ومن أيقن بطُول الطريق تأهّب للسفر" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٩).	الحذر – السفر	المتوازي
"قد أشكل على الناس أمر النفس وماهيتها، مع إجماعهم على وجودها، ولا يضر الجهل بذاتها مع إثباتها" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٣٠).	ماهيتها – وجودها –إثباتها	المطرف

" تأملت أمر الدنيا؛ فوجدت حوادث الدنيا حسية طبعية، وحوادث الآخرة إيمانية يقينية" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٣٥)	حسية – إيمانية طبعية– يقينية	المرصع
"ينبغي لمن تظاهرت نعم الله – سبحانه وتعالى– عليه، أن يظهر منه ما يبينُ أثرها، ولا يكشف جُملتها" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ١٢١)	أثرها – جملتها	المطرف
" رأيت في نفسي عجبًا: تسال الله حاجتها، وتنسى جنايتها" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ١٢٩)	حاجاتها– جناياتها	المتوازي
"ينبغي للعاقل أن ينظر إلى الأصول فيمن يخالطه، ويعاشره، ويشاركه، ويصادقه، ويزوجه أو يتزوج إليه" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٢٤٧)	يخالطه –يعاشره –يشاركه – يصادقه –يزوجه –إليه	المتوزاي
" من خلق عالي الهمة، كان عيشه دائم النغصة" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٢٠٦)	الهمة – النغصة	المرصع
" من قلة الحزم النظر في الحال، لا في المآل" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٢٢٣)	في الحال– في المآل	المرصع
" تأملت عجبًا وهو أن كل شيء نفيس خطير يطول طريقه، ويكثر التعب في تحصيله" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٢٥٨)	طريقه – تحصيله	المطرف
"المصيبة العظمى رضى الإنسان عن نفسه، واقتناعه بعلمه" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٣٥٣)	نفسه – بعلمه	المطرف
"عجبت لمن يعجب بصورته، ويختال في مشيته، وينسى مبدأ أمره" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٣٤٣)	بصورته – مشيته –أمره.	المطرف
"سبحان من سبقت محبته لأحبابه، فمدحهم على ما وهب لهم، واشترى منهم ما أعطاهم، وقدم المتأخر من أوصافهم، لموضع إيثارهم، فباهى بهم في صومهم، وأحب خلوف أفواههم "(ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ١٢)	لهم – أعطاهم –أوصافهم – إيثارهم – صومهم – أفواههم	المطرف

يلاحظ في الجدول:

-أنّ السجعات والمقاطع في بنية الاستهلال تتفق في الروي لكنها تحررت من سطوة الوزن في (السجع المطرّف) فتكرار صوت (الهاء) المتصل بالألف في قوله (خيرها – شرها)، (ماهيتها – وجودها – إثباتها)، (أثرها – جملتها) تحقق قيمة إيقاعية واضحة فصوت

(الهاء) من الأصوات المهموسة وقد تكررت أيضًا من دون الاتصال بالألف في: (طريقه – تحصيله)، (نفسه –علمه)، (بصورته – مشيته– أمره) ، أو أن يأتي مع صوت الميم (هم) في قوله: (لهم –أعطاهم – أوصافهم – إيثارهم – صومهم – أفواههم) وهي في أغلبها ضمائر تعود على غائب؛ وهي أمور تغيب عن الناس التفكر فيها ويغفلون عنها، فجاء صوت (الهاء) لإيحاء مشاعر التعب والتعجب والتأسف الذي يبدو على ابن الجوزي، أي أشبه ما تكون بالتأوه من أحوال الناس في الدنيا، فتأتي هذه الإيقاعات للتنبيه إلى مضمون الفصل – وخاصة أنه لم يعنّون لها بعنوان مستقل– لأنها خواطر لمسائل متعددة من خلال هذه العبارات والمقاطع الصوتية المتساوية مرة والمتفاوتة مرة آخرى، فيثير اهتمام المتلقي والسامع فهي إحدى طرق تربية النفس وما يتطلبه من تقويم وتعليم لدى الواعظ والمربي ابن الجوزي.

–كما يلحظ توظيف ابن الجوزي السجع ضمن أساليب محددة كالشرط بـ(منْ)؛ تنبه الأذهان فهي ترتبط ارتباطا عقليا بين السبب والنتيجة لما سيأتي بعدها من خواطر وتأملات، مما ترك رنة ونغمة مؤثرة متنوعة تجذب الأسماع وتحرك الوجدان؛ فنزلت منزلة الحكم والأمثال والأقوال المأثورة القابلة للحفظ والتذكر كما في قوله: " من أحب تصفية الأحوال، فليجتهد في تصفية الأعمال "(ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ١٤).

وهذا ما ذهب إليه (والترج.أونج) بقوله: " لكي تحل مشكلة الاحتفاظ بالتفكير المعبر عنه لفظيًا، واستعادته على نحو فعّال أن تقوم بعملية التفكير نفسها داخل أنماط حافزة للتذكر، صيغت بصورة قابلة للتكرار الشفاهي...إما في أنماط متوازنة الإيقاع، أو في جمل متكررة، أو في كلمات متجانسة الحروف الأولى، أو مسجوعة ، أو عبارات وصفية، أو أخرى قائمة على الصيغة، أو في وحدات موضوعية ثابتة...أو في الأمثال التي يسمعها المرء باستمرار وتردد على الذهن بسهولة، وقد صيغت هي نفسها على نحو قابل للحفظ والتذكر السهل، أو في أشكال أخرى حافزة للتذكر" (أونج، ١٩٩٤م، صفحة ٩٤)

–ويلحظ استعمال ابن الجوزي إلى (السجع المرصع) و(المتوازي) في الاستهلال أكثر من (السجع المطرف)؛ وذلك ليوازن المسألة في تراكيب متقابلة، من خلال إيقاع منسجم ومتناغم قبل ولوج القارىء إلى مضمون الفصل وتفاصيله، كقوله في السجع المتوازي: " رأيت في نفسي عجبا: تسال الله حاجاتها، وتنسى جناياتها" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ١٢٩)، وكقوله في المرصع : " تأملت أمر الدنيا؛ فوجدت حوادث الدنيا حسية طبعية، وحوادث الآخرة إيمانية يقيينة" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٣٥)

إن الإيقاع المنتظم والمتوازن ما بين (حاجاتها – جناياتها)، أو(حسية – إيمانية)، (طبعية – يقيينة) مكرر فيها حرف الروي (التاء) بالألف في (حاجاتها – جناياتها) وبدونها في (حسية – إيمانية) فصوت (التاء) شديد مهموس، والتي تضطر معه لإخراج الهواء كأنه آهه، لتجارب مرّ بها أو عايشها، فجاءت خلاصة حكمته لحقائق تستدعي التنبه والحذر، فكانت منسجمة في إيقاع متوازي ومتقابل مثيرة للتأمل والنظر والفكر؛ لأنّ القيمة الحقيقة للإيقاع الصوتي لا تكمن في العلاقات الصوتية المجردة فحسب، بل فيما تتركه من أثر نفسي يجمع بين المبدع والنص والمتلقي (ليمونة، صفحة ٢٨).

-صور السجع في بنية الخاتمة:

ومن السمات الأسلوبية المميزة لدى ابن الجوزي عنايته بتوظيف السجع كذلك في ختام بعض الفصول، والتي جاءت لخدمة المعاني وتقريره في بنى صوتية وتشكيل خاص، ويمكن حصر أبرز هذه العبارات فيما يأتي:

العبارات والمقاطع السجعية في خاتمة الخواطر وفصول الكتاب	السجع	نوعه
" نسأل الله خلوة حلوة، وعزلة عن الشر لذيذة، يستصلحها فيها لمناجاته، ويلهم كلا منا طلب نجاته" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٢٥٤)	خلوة حلوة – لذيذة مناجاته – نجاته	المطرف
" نسأل الله يقظة تحركنا إلى منافعنا، وتزعجنا عن خوادعنا" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٣٣٨)	منافعنا – خوادعنا	المتوازي
" نسأل الله توفيقنا لمراضيه وقربه، ونعوذ به من طرده وإبعاده" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٣٤٧)	مراضيه وقربه – طرده وإبعاده	المطرف
" نسأل الله يقظة من فضله، وإقبالا على خدمته، وأن لا يخذلنا بالالتفات عنه". (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٣٩٩)	فضله –خدمته –عنه	المطرف
" نسأل الله همة عالية تسمو إلى الكمال، وتوفيقًا لصالح الأعمال." (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٢٢٦)	الكمال –الأعمال	المتوازي
" نسأل الله يقظة ترينا العواقب، وتكشف لنا الفضائل والمعائب". (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٢٤١)	العواقب –المعائب	المتوازي
" نسأل الله عقلا يدبر دنيانا، ويحصل لنا آخرتنا." (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٢٨٢)	دنيانا –آخرتنا	المتوازي

" نسأل الله أنفة من الرذائل، و همة في طلب الفضائل" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٢٩١)	الرذائل – الفضائل	المتوازي
" نسأل الله توفيقا يلهم الرشاد، ويمنع الفساد." (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٣١٢)	الرشاد – الفساد	المرصع
" نسأل الله أن يهب لنا حزما، يبت المصالح جزما." (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٣٣٩)	حزما – جزما	المتوازي
" نسأل الله إخلاصا يخلصنا، ونستعيذ به من رياء يبطل أعمالنا" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٣٧٤)	يخلصنا – أعمالنا	المطرف
" نسأل الله يقظة دائمة، تحركنا إلى طلب الفضائل، وتمنعنا من اختيار الرذائل" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٣٨٧)	الفضائل – الرذائل	المتوازي
" أيقظنا الله من رقدة الغافلين، ورزقنا فكر المتيقظين" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٤٣١)	الغافلين – المتيقظين	المطرف
" فوالله ما عصيتك جاهلا بمقدار نعمتك، ولا ناسيا لما أسلفت من كرمك" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٤٤٩)	عصيتك – نعمتك – كرمك	المطرف
" واخيبة من جهله، وأفقر من أعرض عنه، وأذل من اعتز بغيره، واحسرة من اشتغل بغير خدمته" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٣٩٦)	جهله –عنه – بغيره – خدمته	المطرف
" فقد رأينا أغنياء كانوا يؤثرون، وفقراء كانوا يصبرون، ومحاسبين لأنفسهم يتورعون؛ فاستبدل السفهاء عن البخلاء، والبخلاء عن الكرماء" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٣٩٧)	يؤثرون – يصبرون – يتورعون السفهاء– البخلاء – الكرماء	المرصع
" وهذه حالة أكثر الناس؛ فنعوذ بالله من سلب فوائد الآلات، فإنها أقبح الحالات." (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٩٩)	الآلات – الحالات	المتوازي
" فتلمحوا ما سطرته، واعرفوا ما ذكرته، ولا تهملوا خلواتكم، ولا سرائركم." (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ١٦٥)	سطرته – ذكرته خلواتكم – سرائركم	المتوازي
" كيف يصبر على مدافعة الأيام، من لم يستهول نزول البلاء، ولم يفرح بعاجل رخاء" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ١٦٧)	البلاء – رخاء	المتوازي

" ولو بلغتم نهاية الأماني من أغراض الدنيا مع إعراضه عنكم، كانت سلامتكم هلاكًا، وعافيتكم مرضًا، وصحتكم سقما "... (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ١٧٤)	هلاكا – مرضا – سقما	المرصع
" فمن رزق هذه الأشياء رقته إلى الكمال، وظهر عنه أشرف الخلال" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٢٧٩)	الكمال – الخلال	المتوازي
"هذا والله فعل رجل عرف الوجود والموجد؛ فماتت أغراضه، وسكنت اعتراضاته" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٢٨٦)	أغراضه – اعتراضاته	المطرف
" فليعتبر بما فقد، وليستغن عن ذكر من فقد، فقد استغنى بما عنده، عن التطلع إلى غيره" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٣٥٣)	فقد – فقد عنده –غيره	المتوازي

نلاحظ مما تقدم:

– تنوع عبارات السجع في خاتمة الفصول ما بين مطرف، ومرصع، ومتوازي مع ميل ابن الجوزي لاستعمال السجع المرصع والمتوازي، والتي تترك نغمة وإيقاعا منتظمًا لدى السامع والقارئ، يلخص فيها كل ما تقدم في مضمون الفصل من شرح وتوضيح ونقد وتقريع، فهي طاقة تعبيرية ودلالية، تركت آثرا أسلوبيا وقيمة جمالية على النّص بالإضافة إلى ما فيها من وسائل الإقناع العقلي والإمتاع النفسي إحدى أهم أدوات الوعظ والتعليم عند ابن الجوزي.

–كما نلحظ الإيقاع الداخلي في الخاتمة يعتمد على الثنائية المتقابلة مع المحافظة على النسب المتوازنة في تناغم وانسجام كقوله فيمن تعلق بالدنيا: " ولو بلغتم نهاية الأماني من أغراض الدنيا مع إعراضه عنكم، كانت سلامتكم هلاكًا، وعافيتكم مرضًا، وصحتكم سقما " نجد الطباق المتكرر بين (السلامة – الهلاك) ، (العافية – المرض)، (الصحة – السقم)، ومن ذلك قوله أيضا في العبارات الأخرى: (مراضيه وقربه – طرده وإبعاده) ، (دنيانا – آخرتنا)، (الفضائل –الرذائل)، (الغافلين –المتيقظين)، (البخلاء – الكرماء)، (الكمال – الخلال)، فهي صور الأفعال وحال الناس ما بين يقظ وغافل، وما بين كريم وبخيل وغيره، وهي كذلك ما بين الدنيا والآخرة من جوذاب وسعادة وشقاء تتضح بها الفوارق ويدرك بها السامع والقارئ مصلحته، ففي هذه الثنائيات توضيح وتوكيد لحال الدنيا والآخرة وحال الناس فيها، فاجتماع الطباق والسجع والموازنة فضلا عن سهولة الألفاظ وسلاستها، كانت الأداة الفاعلة في تدعيم المعنى في مقام الخضوع والرجاء والدعاء، بما تخشع له القلوب.

–تعددت أحرف الروي في خاتمة الفصول على عكس الاستهلال، مع تنوع المقاطع والوزن، ومنها:

حرف (الباء – التاء –الدال – الكاف – اللام – النون – الهمزة – الهاء) فصوت (الباء والدال)، و(الهمزة والكاف) من الحروف الانفجارية المجهورة التي أشبة ما تكون بصيحة لحالة مذنب رجع عن غفلته نحو قوله: " فوالله ما عصيتك جاهلا بمقدار نعمتك، ولا ناسيا لما أسلفت من كرمك "(ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٤٤٩)

أو لتعجب من مذنب وغفلته:

" كيف يصبر على مدافعة الأيام، من لم يستهول نزول البلاء، ولم يفرح بعاجل رخاء " (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ١٦٧)

أو لتصريح بأمر مقلق:

" نسأل الله يقظة ترينا العواقب، وتكشف لنا الفضائل والمعائب" .(ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٢٤١)

أو لتضرع بالهداية:

" نسأل الله توفيقا يلهم الرشاد، ويمنع الفساد ."(ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٣١٢)

كما أنّ حرف (اللام والميم والنون) وهي من الأصوات المجهورة الذلقية بين الشدة والرخاوة، يقول:

" نسأل الله همة عالية تسمو إلى الكمال، وتوفيقًا لصالح الأعمال ."(ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٢٢٦)، ونحو قوله: "" فتلمحوا ما سطرته، واعرفوا ما ذكرته، ولا تهملوا خلواتكم، ولا سرائركم ."(ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ١٦٥) ، وقوله: " أيقظنا الله من رقدة الغافلين، ورزقنا فكر المتيقظين، ووفقنا للعمل بمقتضى العلم والعقل" (ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٤٣١)

-يلحظ السجع في (الكمال – الأعمال)، (خلواتكم – سرائركم) ، (الغافلين – المتيقظين)، فصوت (اللام) مع امتداد الألف يوحي بسمو الأمر ليصل إلى الكمال مستعينًا بالله وبتوفيقه، فهو صعود بالهمم والترفع عن الأمور الدنيئة وما يستدعيه أخلاق العلماء.

أما صوت (الميم) فهو جهر يوحي بالحسم والقطع لمنزلة الخلوة والعزلة، وهو أمرٌ يستدعي الانتباه الشديد فلا يغفل عنه والذي جاء في صيغة نهي، بينما جاء صوت (النون) وهي من أصوات الأنين والحنين، والتي لخص فيها ابن الجوزي مضمون الفصل في صيغة تضرع ودعاء، قابل فيها بين رقدة الغافل وتنبه المتيقظ، مع التضرع بطلب التوفيق من الله في العمل بالعلم، فهي أصوات مجهورة ضاعفت من قوة التأثير والتوكيد لما فيه والتنبيه والتحذير الصريح للسامع والمتلقي.

أما صوتي (التاء والهاء) فهي من الأصوات المهموسة كقوله :

" وهذه حالة أكثر الناس؛ فنعوذ بالله من سلب فوائد الآلات، فإنها أقبح الحالات ."(ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٩٩) ، وقوله: " واخيبة من جهله، وافقر من أعرض عنه، وأذل من اعتز بغيره، واحسرة من اشتغل بغير خدمته "(ابن الجوزي، ٢٠١٨م، صفحة ٣٩٦)

نجد أن ابن الجوزي كان يجهر في الدعاء بصوت شديد يلفه الأنين والحسم أشبه ما تكون بصيحة للمذنبين والغافلين والتي جاءت في صيغ دعاء يتوسل ويتضرع بها إلى المولى سبحانه، إلا أنه قد يفضل أحيانا الهمس في خواتيم بعض الفصول وهي قليلة مقارنة بالأدعية وأصوات الجهر، فنجده يستعيذ أو يتحسر على حالة الغفلة بأشكالها المتعددة موظفًا السجع والمقاطع المكررة في صوتي (التاء والهاء) مع ترابط الفقرات بصورة متناغمة بواو العاطفة أربع مرات في تأسف لما وصل إليه حال بعض العلماء فجعلها خاطرة لنفسه تنوح وتتألم، وسطرها في كتابه محذرا من عواقبها في الدنيا والآخرة، فجاء السجع مرتبطا بالمعنى، ومؤكدًا عليها.

الخاتمة:

من خلال استقراء فصول كتاب "صيد الخاطر" نجد أن ابن الجوزي مزج بين الأسلوبين المسجوع والمرسل، والتي شكلت البنية الصوتية للنص، فجاءت متنوعة الوزن والإيقاع، اعتمد فيها على أساليب محددة، وجعل لكل أسلوب نغمة خاصة يثير بها ذهن المتلقي للتأمل والنظر، إما موضحًا للفكرة أو مؤكدا عليها.

وقد خلص هذا البحث إلى النتائج الآتية:

١. اعتماد ابن الجوزي على العبارات والمقاطع السجعية في تشكيل البنية الصوتية للمقدمة الاستهلالية في بعض فصول الكتاب؛ فكانت بمثابة الكلمات والعبارات المفتاحية للولوج إلى النّص، لما لها من إيقاع ونغمة تثير انتباه السامع والمتلقي، وخاصة أنه لم يعنّون لهذه الفصول بعناوين مستقلة، وإنما نثرها بحسب ما يجول في خواطره في أكثر من ثلاثمائة فصلا.
٢. برع ابن الجوزي في توظيف السجع كوسيلة من وسائل التأثير والإقناع في النّص، فهي طاقة إبداعية ذات بنية حجاجية يستميل بها العقل والقلب معًا.
٣. هناك ارتباط وثيق بين إيقاع العبارات السجعية ودلالتها وبين مضامين الفصل، فإما محذرًا أو متعجبًا أو متأملا في الاستهلال أو مؤكدا في الخاتمة مما يعكس وعي ابن الجوزي الفني المرهف والسليم لجماليات هذا الأسلوب ودقة اختياره للألفاظ، والموزانة بين الإيقاع والدلالة في بنية صوتية وتشكيل أسلوبي مميز.

٤. وظف ابن الجوزي السجع بأنواعها الثلاثة في المقدمة الاستهلالية والخاتمة، ويلحظ كثافة استعماله للسجع المطرف في الاستهلال بنسبة ٥٣%، أما بالنسبة إلى الخاتمة فجاء السجع المتوزاي بنسبة ٥٨%.

٥. جاءت العبارات السجعية في جمل وتراكيب متساوية الفقرات، فجاءت الجمل الاسمية والفعلية، والجمل الطلبية بصيغة (أسلوب الشرط) في بنية المقدمة الاستهلالية؛ لما يتطلبه المقام من حسن الإصغاء والعناية والانتباه مستدعيا حضور الذهن والعقل للتدبر والفهم، أما في الخاتمة فكانت أكثرها جمل طلبية بصيغة (أسلوب دعاء) والتي تسمو للفضيلة والصلاح والسعادة، مخاطبا بها الروح والنفس على طريق الخطباء والوعاظ في مجالسهم.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا – المصادر:

القرآن الكريم.

١. ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، (٢٠١٨م)، صيد الخاطر، دار ابن حزم، لبنان.

ثانيًا– المراجع :

٢. ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين، (٢٠٠٨م)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدّمه وحققه وعلّق عليه: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة – مصر.

٣. ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، التبصرة، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار الكتب العلمية، لبنان.

٤. ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، لفتة الكبد إلى نصيحة الولد، شرح وتحقيق: أشرف بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم. مصر، مكتبة الإمام البخاري.

٥. ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي،) ١٩٨٠م(، المقامات الجوزية في المعاني الوعظية، تحقيق: محمد نغش، القاهرة، دار فوزي للطباعة.

٦. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ت محمد علي النجار، المكتبة العلمية.

٧. ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي، (٢٠٠٥م)، الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق وتعليق: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض– السعودية.

٨. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن كرم، (....م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت – لبنان.

٩. أنيس، إبراهيم، (١٩٧٥م)، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية.

١٠.البغدادي، قدامة بن الجعفر، (١٩٣٣م)، نقد النثر، تحقيق: طه حسين، وعبدالحميد العبادي، دار الكتب المصرية، القاهرة – مصر.

١١.الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (٢٠١٣م)، البيان والتبيين، شركة القدس للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

١٢.الجرجاني، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن، (١٩٩١م)، أسرار البلاغة، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة ، ودار المدني بجدة – المملكة العربية السعودية.

١٣. الجرجاني، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن، (١٩٩٢م)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، المحقق: أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة ، ودار المدني بجدة – المملكة العربية السعودية.

١٤. حجيج، عبدالعلي، (٢٠١٢م)، السجع بين المفهوم والإبداع، مجلة دراسات تراثية، جامعة سيدي محمد بن عبدالله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مختبر تراث العرب الإسلامي.

١٥. الخزاعي، عمار حسن، (٢٠٢٠م)، الخصائص الأسلوبيَّة في كتاب الإمام عَلِيّ – رضي الله عنه– إلى واليه على البصرة عثمان بن حنيف– رضي الله عنه–: المستوى الصوتي: السَّجع انموذجًا، موقع مؤسسة علوم نهج البلاغة. https://inahj.org/impact/1312

١٦.الخفاجي، ابن سنان أبو عبدالله بن محمد، (٢٠١٨م)، سر الفصاحة، قدم له وحققه: مصطفى أبو الحجاج محمد النجار، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر.

١٧. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، (١٩٩٨م)، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.

١٨.ربيح، عمار، (٢٠١٢م)، الظواهر الصوتية وأثرها في قوانين النحو: السجع و الفواصل القرآنية، مجلة العلوم الإنسانية.

١٩. الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، مصر، دار المعارف الجرس والإيقاع في تعبير القرآن.

٢٠. الزماني، كمال، (٢٠١٨م)، حجاجية السجع والجناس في الخطاب المقدماتي: مقدمة المقدمة لابن خلدون أنموذجًا، كلية اللغة العربية ، مراكش –المغرب.

٢١.السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد (١٩٨٧م)، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان.

٢٢. سلطان، منير، (١٩٨٦م)، البديع: تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الاسكندرية– مصر

٢٣. سليمان، باسم ناظم (٢٠٠٨). مظاهر ثقافية في كتاب "صيد الخاطر" لابن الجوزي، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية(١/٣)، ١٢٨-١٥٢، http://search.mandumah.com/Record/924846

٢٤. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر(٢٠١٤م)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المحقق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، لبنان.

٢٥. عبدالغفار، هدى عطية (٢٠٠١م)، السجع القرآني: دراسة أسلوبية، [رسالة ماجستير]، جامعة عين الشمس، كلية الآداب.

٢٦.عبدالفتاح، بسيوني، (١٩٩٨م)، علم البديع: دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، دار المعالم الثقافية للنشر، الإحساء– المملكة العربية السعودية.

٢٧. عوني، حامد، (٢٠٢١م)، المنهاج الواضح للبلاغة، راجعه وصححه: طه عبد الرؤوف، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر.

٢٨.الغزولي، عبدالعزيز سيد هاشم، (٢٠٠٠م)، ابن الجوزي: الإمام المربي، والواعظ البليغ، والعالم المتفنن، دار القلم، دمشق.

٢٩. الغزي، محمود كاظم (٢٠١٣)، رسائل الجاحظ: دراسة في شعرية النثر العربي، [رسالة دكتوراه]، جامعة البصرة.

٣٠. القزويني، محمد بن عبدالرحمن، (١٩٠٤م)، التلخيص في علوم البلاغة، تحقيق: عبدالرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، مصر.

٣١. ليمونة، مدحت الحسيني، البلاغة الصوتية في الأحاديث النبوية، جامعة الأزهر– كلية اللغة العربية.

٣٢. مالبرج، بريتل، علم الأصوات، ترجمة ودراسة: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب.

٣٣. نصير، آمنة محمد (١٩٨٧)، أبو الفرج ابن الجوزي: آراؤه الكلامية والأخلاقية، دار الشروق.

٣٤. هادف، بوزيد ساسي، (٢٠٠٩م)، الدلالة الصوتية عند ابن جني من خلال كتابه الخصائص، مجلة حوليات التراث، جامعة قالمة، الجزائر، عدد ٩.